مجلة قراءات للدراسات والبحوث النقدية والأدبية واللغوية
مجلد: 11 ، عدد: 01، شهر: جوان ، سنة: 2023
ISSN: 1112- 8658
E-ISSN:2602-7259
عنوان المقال: التفكير البلاغي عند محمّد مشبال(من تصنيف الأقوال وتقنياتها الإقناعيّة إلى تأمّل الخطابات وتأويلها)
صفحة: من 78. إلى 92

التفكير البلاغي عند محمّد مشبال[1]

(من تصنيف الأقوال وتقنياتها الإقناعيّة إلى تأمّل الخطابات وتأويلها)

Muhamed Mechbal rhetorical thinking
(From the classification of sayings and their persuasive techniques To the reflection and interpretation of discourses)

د. بومعزة غشام

تاريخ الإرسال: 2023/04/2213 تاريخ القبول : 2023/05/02 تاريخ النشر: 01 /06/ 2023

Abstract:

Our research paper tries to stand at one of the pioneers of the new rhetorical thought, known as the spacious or expanded rhetoric, on the basis that the researcher is one of the most important interested in the spacious rhetoric present in the narrative, pilgrims and various discursive styles, which we see in his writings and writings, including: rhetorical sayings in the analysis of poetry, the image in the novel, the rhetoric of the rare, the secrets of criticism, rhetoric and assets: a study in the foundations of rhetorical thinking among the Arabs, lectures on the new rhetoric, and within the expanded rhetoric, the researcher works to achieve a rhetoric project New based on pilgrims and touches all types of discourses and literary and verbal genres and go beyond the mere stylistic faces, and open to the context and place, and awareness of the types of discourse and patterns, which leads to the discovery of new stylistic features, and the expansion of rhetoric investigations and displacement from inherited rhetoric to the rhetoric of genres.

Keywords:

New rhetoric; discourses; argumentative; imagination; aesthetic value.

الملخص:

تحاول ورقتنا البحثية الوقوف عند واحد من رواد الفكر البلاغي الجديد، المعروف بالبلاغة الرّحبة أو الموسّعة، على أساس أنّ الباحث واحد من أهمّ المهتمّين بالبلاغة الرّحبة الحاضرة في السّرد

[1] ghachem.boumaaza@univ-tiaret.dz

مجلة قراءات للدراسات والبحوث النقدية والأدبية واللغوية
مجلد: 11 ، عدد: 01، شهر: جوان ، سنة: 2023
ISSN: 1112- 8658
E-ISSN:2602-7259
عنوان المقال: التفكير البلاغي عند محمّد مشبال(من تصنيف الأقوال وتقنياتها الإقناعيّة إلى تأمّل الخطابات وتأويلها)
صفحة: من 78. إلى 92

والحجاج ومختلف الأنماط الخطابية، وهو ما نلمسه في كتاباته ومؤلّفاته التي منها: مقولات بلاغيّة في تحليل الشّعر، الصورة في الرّواية، بلاغة النادرة، أسرار النقد، والبلاغة والأصول: دراسة في أسس التفكير البلاغي عند العرب، ومحاضرات في البلاغة الجديدة، وضمن البلاغة الموسّعة يعمل الباحث على تحقيق مشروع بلاغة جديدة تنبني على الحجاج وتمس جميع أنواع الخطابات والأجناس الأدبيّة والكلاميةوتجاوز الاقتصار على مجرّد الوجوه الأسلوبية، وتنفتح على السيّاق والمقام، والوعي بأنواع الخطاب وأنماطه، ممّا يؤدّي إلى اكتشاف سمات أسلوبية جديدة، وتوسيع مباحث البلاغة والانزياح بها عن البلاغة الموروثة إلى بلاغة الأنواع.

الكلمات المفتاحية: البلاغة الجديدة، الخطابات، الحجاج، التخييل، القيمة الجمالية...

مهاد:

إنّ مقاربة مشروع محمد مشبال التنظيريّ /التطبيقيّ في مجال البلاغة الجديدة، التي تكرّس التحليل البلاغي مقاربة تفاعلية مع مختلف الخطابات، بعيدا عن النظرة التعليمية المردّدة لقوانين القول التجريدية بعيدا عن سياقه الخطابيّ، فالبلاغة ليست مجرّد نظرية تجريدية تقف عند النسق التواصلي جماليا وحجاجيا، بل هي نظرية تأويل للخطابات في سياقاتها الملموسة.

في بداية الورقة البحثية ننطلق من أسئلة مُؤسِّسةٍ تحاول فهم ظروف تصدّع البلاغة العربية القديمة، وانحصار دورها في التحسين الأسلوبيّ البعيد عن سياق التلفّظ، وجملة هذه الأسئلة هي:

1 – ما سبيل إنتاج نظرية بلاغية جديدة تربط بينالأنواع الخطابية وبين أنواع الحجج وفق المثلث: الإيتوسوالباتوس واللّوجوس؟

2 – كيف ساهم محمد مشبال في إنتاج نظرية بلاغية تقوم على تأمّل الخطابات وتأويلها بدل الاكتفاء بتصنيف ورصد تقنياتها الجمالية.

3 – ما مرجعية محمّد مشبال في مشروعه البلاغي؟

4 – ما إضافات محمد مشبال إلى المدوّنة البلاغية العربية الجديدة؟

ونتوق من خلال هذه الأسئلة إلى:

- رصد بعض الاستنتاجات البلاغية في تطبيقات محمد مشبال، كقضية النثر بين التخييل والحجاج، وقضية التصوير والحجاج في بلاغة الجاحظ، وقضية التمثيل السّردي والخطاب البلاغي. وغيرها.
- المقولات البلاغيّة التراثية والحداثية وجنس الشّعر.
- بلاغة الرّواية ومصداقية تجربة التخييل.

مجلة قراءات للدراسات والبحوث النقدية والأدبية واللغوية
مجلد: 11 ، عدد: 01، شهر: جوان ، سنة: 2023
ISSN: 1112- 8658
E-ISSN:2602-7259
عنوان المقال: التفكير البلاغي عند محمّد مشبال(من تصنيف الأقوال وتقنياتها الإقناعيّة إلى تأمّل الخطابات وتأويلها)
صفحة: من 78. إلى 92

- استخلاص تطوّر التحليل البلاغي المشبالي، والوقوف عند جديده وكيفية انفتاحه على مختلف الخطابات الشعرية والنثرية القديمة والخطابات السّردية الحداثية وبخاصّة الخطاب الرّوائي وجعلها حقلا للتحليل البلاغي الحجاجي الجديد.

لقد فرض التعدّدُ الأجناسيُّ على المقاربات البلاغيّة الخروجَ عن نمطيتها في تحليل الخطابات باقتصارها على الخطاب الشعريّ في جانبه الجماليّ الأسلوبيّ، لتحاور هذه المقاربات مختلف الخطابات في بُعدها التداوليّ الحجاجيّ، علما بأنّ «البلاغة علم كلّي، يقتضي ضبطه الإحاطة بعلوم اللّسان، وعلوم الإنسان المختلفة المتدخّلة في تكوين الذّات المنتجة للخطاب»(العمري، 2012، صفحة 5)، وبنفس هذه النظرة يقول جابر عصفور: «الجانب اللّغوي في علم البلاغة بمثابة علم لسان كلّي يتميّز عن العلوم اللّغوية الجزئية ويتجاوزها»(عصفور، 1995، صفحة 158).

إنّنا أمام علم خرج به الأكاديميون الجامعيون في ستينيات القرن من مكانته المتضعضعة إلى مكانة أكثر نبالة، فارتقوا به وفق خطّين هما:

1 – خطّ بيرلمانChaïm Perelmanو"تيتيكاL. OlbrechtsTytecaوروبولOlivier REBOUL الذي أعطى اهتماما كبيرا للمكوّن الحجاجي، وذهب إلى أنّ «البلاغة هي فنّ الحجاج»(H.Morier, 1989, p. 3)، باحثا عن أمثلته وموضوعاته في الخطابة الدينية، والقضائية والسياسية والفلسفية، متوصّلا إلى أنّ البلاغة تهدف إلى الإقناع.

2 – خطّ هنري موريهH. Morier، وجيرار جينيتG.Genette، وجون كوهن J. Cohen ، ومجوعة موGroupe MU، الذي يجعل من البلاغة دراسة للأساليب وأشكالها، وأنّها هي التي يجعل من النصّ أدبيا (الشّعرية).

بعد هذه القفزة الابستيمولوجية النظرية وجد البلاغيون الجدد العرب أنفسهم منفتحين على البلاغة الجديدة الغربية، فعرفت البلاغة العربية محاولات «أكثر نجاحا لاكتشاف أرض جديدة، تحقّقت عبر السّعي نحو عقد تحالفات مع حقول أخرى مثل التداولية، والسيميوطيقا، وتحليل الخطاب، فتمكّنت عبر هذه التحالفات من صياغة هوية متجدّدة»(اللطيف، 2017، صفحة 28)، وبرزت أسماء عربية كثيرة اهتمّت بالبلاغة الجديدة أمثال حمادي صمود ومحمد العمري، ومحمد الولي وعبد الله صولة وسامية الدريدي ومحمد مشبال.

مشروع محمد مشبال البلاغي:

ينطلق محمد مشبال من قراءة البلاغة التراثية محاورا ما خلّفه القدامى من نتاج بلاغيّ معتمدا مقاربة جديدة «تكشف أبعادَها الحجاجية، وتخلّصها من أسر المحسّنات وهيمنة الصورة

مجلة قراءات للدراسات والبحوث النقدية والأدبية واللغوية
مجلد: 11 ، عدد: 01، شهر: جوان ، سنة: 2023
ISSN: 1112- 8658
E-ISSN:2602-7259
عنوان المقال: التفكير البلاغي عند محمّد مشبال(من تصنيف الأقوال وتقنياتها الإقناعيّة إلى تأمّل الخطابات وتأويلها)
صفحة: من 78. إلى 92

الشعرية...عبر كشف نجاعة المنظور التداولي في مقاربة مختلف أشكال الخطاب خاصّة من خلال بلاغة الحجاج التي شكّلت موضوع الكثير من الدراسات البلاغية»(وآخرون، 2017، صفحة 26)، وحين الاطّلاع على التراكم التنظيري والتطبيقي الذي أنتجه محمد مشبال نسلّم بأنّ للباحث مشروع يسعى إلى تحقيقه، علما بأنّ المشروع «يعني تصوّرا نظريا لعمل قابل للإنجاز»(اليملاحي، 2014، صفحة 249).

إذا كان المشروع يحتّم منهجا لاتّباعه حين الدّراسة فما المنهج الذي اعتمده محمد مشبال في مقارباته لمختلف الخطابات؟

إنّ التفكير البلاغيّ للدكتور محمد مشبال ينطلق من مسلّمة هي أنّه لكي يرتقي الدّارس البلاغيّ بالبلاغة العربية عليه أن يخرج بها من تصنيف الأقوال وتقنياتها الإقناعيّة إلى تأمّل الخطابات وتأويلها، دون التنكّر لقديم والتحيّز لجديد، وهو ما يتمثّله في كتابه أسرار النقد قائلا: «الحقّ أنّني لا أنحاز إلى كلّ ما هو حديث، كما أنّني لا أتنكّر لكلّ ما هو قديم، فقيمة أيّ مفهوم نقدي تحدّدها نتائجه في الحقل الأدبي بمفهومه الواسع ... فيجد القارئ مفهومات من قبيل البلاغة النوعية، والحياة والصّورة، والذاتية، والذّوق، والسياق النصّي، والبلاغة الرّحبة، وهي مفهومات تنتمي إلى مناهج مختلفة وتصوّرات متباعدة»(مشبال، أسرار النّقد الأدبي، مقالات في النقد والتواصل، 2002، صفحة 5)،فالبلاغة الرحبة عند مشبال هي أن تتعامل البلاغة مع جميع الأنواع الأدبية، ولا تختزل الأسلوب في الصورة البلاغية المتعالية.

فما هي الأسئلة التي يطرحها محمد مشبال في مشروعه النّقديّ والبلاغيّ الجديد؟

أوّل سؤال يطرحه محمّد مشبال هو سؤال الهوية والوجود ثمّ سؤال المنهج، فيسائل الحركة النّقدية عن هويّتها ووجودها الحقيقي، وهل يمكن للنّقد أن يوجدَ دون المشاركة في صنع الحداثة ودون إثرائها بالأفكار والمفاهيم المبتدعة؟ فالنّقد ليس باستهلاك ما أوجده التراث من أعمال قدامة والجرجاني والقرطاجني، ولا باستهلاك أعمال باختينBakhtineوتودوروف Todorov وبارت Barthes، بل هو القراءة الواعية التأويليّة للتراث، وهو القراءة المبدعة لنتاج الآخر حين تلقيه، وهو المشاركة الفاعلة في الثقافة الإنسانية، وعليه على الناقد العربيّ الاحتراس من التجريب والتثوير والمغامرة التي تؤدّي إلى الإلغاء وضياع الهوية، ومن هنا يطلب محمد مشبال من النقّاد «بلورة تصوّر نقدي يقوم على التقريب والاتصال بين المناهج النقدية قديما وحديثا، بدل الانقطاع والانفصال، وهي فكرة تقوم على ثوابت أصيلة وتسوّغها دواع مكينة، قوامها أنّ الغاية الحقيقة لأيّ ممارسة نقدية هي التواصل سواء مع العمل الأدبي أو القارئ»(مشبال، 2002، صفحة 6).

كيف يمكن للبلاغة العربية أن نكون بلاغة خطاب لا بلاغة جملة؟

مجلة قراءات للدراسات والبحوث النقدية والأدبية واللغوية
مجلد: 11 ، عدد: 01، شهر: جوان ، سنة: 2023
ISSN: 1112- 8658
E-ISSN:2602-7259
عنوان المقال: التفكير البلاغي عند محمّد مشبال(من تصنيف الأقوال وتقنياتها الإقناعيّة إلى تأمّل الخطابات وتأويلها)
صفحة: من 78. إلى 92

في مشروعه عن البلاغة الرّحبة يستحضر محمد مشبال موقف أمين الخولي في حاجة بلاغتنا إلى سعة شاملة وبسطة وافرة، قناعة منه بقصور «البلاغة القديمة الفادح وعجزها عن تناول الأعمال الفنيّة المحدثة في شمولها وكلّيتها، نتيجة للنزعة الجزئية المسيطرة عليها، ممّا يجعلها تقف عند حدود الجملة أو ما في مقامها، وضرورة تطويرها حتّى تشمل المتتاليات والنصوص بكاملها، من هنا كان التحديد الأمثل للبلاغة المعاصرة بأنّها بلاغة الخطاب»(الخولي، 1996، صفحة 10).

التفكير البلاغي عند محمد مشبال/ التصوّر الجديد:

مواكبة لحركة التطوّر التي شهدتها البلاغة كغيرها من المعارف والعلوم، توصّل محمد مشبال إلى مفهوم محوّل للبلاغة موصوف بالجدّة، هو البلاغة الجديدة، الذي يعتبره ثورة على «مفهوم التحسين أو التزيين الذي ارتبطت به وظيفة البلاغة، وهو ما يعني أنّها استوعبت هذا التحسين باعتباره عنصرا تابعا لوظيفة أهمّ هي الإقناع»(مشبال، 2021، صفحة 14)، هذا التصوّر الجديد جعل مشبال يرى أنّ البلاغة في الخطابات لا تجسّدها بلاغة الألفاظ فقط، وإنّما بلاغات أخرى مثل بلاغة الجنس الأدبيّ، ففي النادرة تستمدّ البلاغة قانونها من غير القانون المركزي المتمثّل في الجمال اللّفظي، بل من قوانين أخرى متعدّدة بتعدّد المقامات التواصلية وأجناس الخطاب الأدبي وغير الأدبي.

صار التفكير البلاغي عند محمد مشبال تفكيرا متحوّلا من البلاغة القديمة إلى البلاغة الجديدة التي لا تقصر البلاغة في الخطابات الأدبية بل تنفتح على خطابات متنوّعة كثيرة منها الخطاب السياسي القائم على نجاعة التأثير في الجمهور، وصار البليغ مَن يمتلك كفاءة التأثير لا كفاءة التعبير، وهي كفاءة خاضعة للمقام والسيّاق، وتحوّل الاهتمام من المتكلّم إلى المخاطب وما يمتلكه من معايير قيمية اجتماعية نفسية وثقافية، إنّه باختصار العودة بالبلاغة إلى مفهومها الإقناعي.

يضع محمد مشبال خطّة للعودة بالبلاغة إلى مفهومها الإقناعي، تتلخّص في ثلاث عمليات نشير إليها في الشكل رقم (3):

1 – عملية الإيجاد: وهي مرحلة يبحث فيها البلاغيّ عن الحجج.

2 – عملية الترتيب: وهي مرحلة ترتيب الحجج في الخطاب المنتج.

3 – عملية الأسلوب: وهي مرحلة التقديم والصياغة اللّفظية.

كيف يتولّد الإقناع؟

يتولّد الإقناع من مجموع هذه العمليات الثلاث، المشكّلة لما يسمّيه مشبال بالقراءة الحجاجية التي تنشأ من تلاحم مكوّنات الإقناع (الحجج القابلة للرّصد، موقع الحجج في الخطاب، الشكل اللّفظي للحجج).

مجلة قراءات للدراسات والبحوث النقدية والأدبية واللغوية
مجلد: 11 ، عدد: 01، شهر: جوان ، سنة: 2023
ISSN: 1112- 8658
E-ISSN:2602-7259
عنوان المقال: التفكير البلاغي عند محمّد مشبال(من تصنيف الأقوال وتقنياتها الإقناعيّة إلى تأمّل الخطابات وتأويلها)
صفحة: من 78. إلى 92

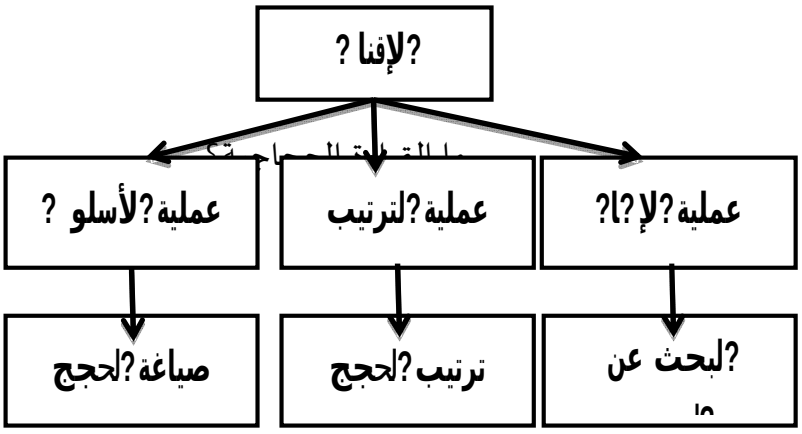

?لشكل (3) مكونا ??لإقنا ?

القراءة البلاغية الحجاجيّة هي البحث عن الحجج الظاهرة والمضمرة لرصدها ووصف آلياتها، وتأويل موقعها ووظيفتها في نباء الخطابات والنصوص، وصولا إلى تشكيلها وصياغتها لفظيا، فيشمل التحليل الحجاجيّ كلّ المكوّنات التي تسهم في بناء الإقناع، بداية بالمحتوى والمضامين الأخلاقية والعاطفية، مرورا ببنية الخطاب وصولا إلى الصياغة الأسلوبية.

البلاغة والخطابات المتنوّعة:

سعى محمد مشبال لأن تكون البلاغة رحبةً تحاور مختلف الخطابات وأنواعا متعدّدة من القول، وبخاصّة الخطابات المعاصرة بمفهومها الكونيّ، وتمثّلا لمقولات ميخائيل باختين Bakhtine Mikhail، وجيرار جينيتGérard Genette ، وبول ريكورPaul Ricœur، وتزيفتانتودوروف Tzvetan Todorov ذهب إلى ضرورة تعميق الروابط بين كلّ التخصّصات المعرفية، متجاوزا ما وقعت فيه البلاغة من تدهور بانحصارها في نظرية الشّعر وبعدها عن البلاغة العامّة والبلاغة الجديدة التي استشرفجينيت «أنّها ستكون سيميائية أنواع الخطاب»(G.Genette, 1972, p. 10).

إذا كان جينيت يعيب على الكتابات البلاغية المتأخّرة نظرتها القاصرة في الاكتفاء بنظرية الشّعر وبنظرية الأسلوب منها، فإنّ بول ريكور يقرّ بما كان للبلاغة الأرسطية القديمة من اشتمالها على نظرية الحجاج، ونظرية الأسلوب ونظرية تأليف الخطاب(Ricœur, 1975, p. 13)، وفق الشكل رقم (1):

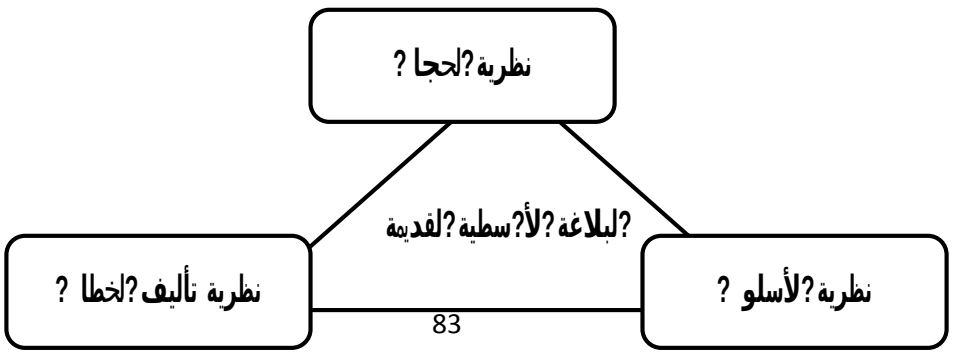

?لشكل ?قم (1) ?لبلاغة?لأ?سطية

مجلة قراءات للدراسات والبحوث النقدية والأدبية واللغوية
مجلد: 11 ، عدد: 01، شهر: جوان ، سنة: 2023
ISSN: 1112- 8658
E-ISSN:2602-7259
عنوان المقال: التفكير البلاغي عند محمّد مشبال(من تصنيف الأقوال وتقنياتها الإقناعيّة إلى تأمّل الخطابات وتأويلها)
صفحة: من 78. إلى 92

إنّ انفتاح محمد مشبال على النظرية البلاغية الغربية جعله يتوصّل – حين دراسته للبلاغة العربية -إلى استنتاجات نجملها في الآتي(مشبال، 1993، صفحة 20):

- ✓ انحلال التوازن القائم بين أجزاء البلاغة وانحصارها في الأسلوب.
- ✓ اختزال البلاغة في نظرية المحسّنات ونظرية الاستعارة.
- ✓ تعارض المفهوم الرومانسي للشّعر مع البلاغة الإقناعية.
- ✓ تحوّل البلاغة إلى تجويد الكلام وخلق أنماط خطابية جمالية.
- ✓ تحوّل البلاغة إلى معرفة باللّغة لتذوّقها.
- ✓ الابتعاد عن النظر إلى اللّغة على أنّها فعل ووظيفة.

<u>بلاغة قصّة الطفل:</u>

يندرج مقال محمد مشبال الموسوم "بلاغة قصّة الطفل" في مجال نقد النّقد، وهو قيمة مضافة في مشروعه البلاغي الذي يهدف إلى توسيع آفاق البلاغة لتحاور مختلف النصوص والخطابات، إنّه مقاربة نقدية لكتاب "قصص الأطفال بالمغرب" لمحمد أنقار(أنقار، 1988)، يسمّيها "قراءة"، منطلقا من سيّاق المؤلّفات النقديةالتي أصدرها محمد أنقار نفسه، وهي كتاب "بناء الصورة في الرواية الاستعمارية"، وكتاب "بلاغة النص المسرحي"، وكتاب "صورة عطيل".

في بداية المقال يسترجع محمد مشبال مرجعية وأصول التصوّر النقدي للناقد محمد أنقار واشتغاله على الأجناس الخطابية المتعدّدة، فيوضّح تصوره الموسوم "الصورة السّردية" أو "بلاغة لأجناس السّردية" الذي يتبنّى مفهوما بلاغيا جديدا، يقرأ من خلاله صورة الآخر الأجنبي في الرّواية والمسرح، اعتمادا على أسئلة مفكِّكة هي:

- هل راهن المبدع على أصول الإبداع الإنسانية أم هل راهن على الموقف العرقي العنصري؟
- هل راهن المبدع على البنية الفنية والبلاغة أم راهن على الموافق والأفكار والقيم؟

لقد تخيّر محمد أنقار قصّة الطفل موضوعا لمقاربته النقدية لتفسير الأداة التي يعتمدها كتّاب قصص الأطفال في تأثيرهم على المتلقي الصغير، هل هو الطبيعة والحاجة النفسية أم الإمكانات الفنية المثيرة للمدهش والمغامرة، أم هو الدّور الأخلاقي الذي يهدف إلى التعليم والتثقيف؟

إنّ أسئلة النّاقد تميّز بين بلاغتين مختلفتين، تسيران في خطّين غير متقاطعين هما خطّ البلاغة الفنية وخطّ البلاغة الفكرية، وهو ما يمكن تمثيل في الشكل رقم (2):

?لبلاغة ?لأ?بية ?لفنية

←

?لبلاغة ?لأخلاقية

→

?لشكل ?قم (2) ?لبلاغة ?لأ?بية ??لبلاغة ?لأخلاقية

مجلة قراءات للدراسات والبحوث النقدية والأدبية واللغوية
مجلد: 11 ، عدد: 01، شهر: جوان ، سنة: 2023
ISSN: 1112- 8658
E-ISSN:2602-7259
عنوان المقال: التفكير البلاغي عند محمّد مشبال(من تصنيف الأقوال وتقنياتها الإقناعيّة إلى تأمّل الخطابات وتأويلها)
صفحة: من 78. إلى 92

إنّ البلاغة الأدبية الفنية تعنى بنوع الخطاب ومتلقيه، وخصوصية بيئته وثقافته، بينما تعنى البلاغة الأخلاقية بالأفكار والقيم والمواقف وتهتمّ بالمعنى دون اللّفظ، لذا يرى محمد مشبال أنّ الناقد محمد أنقار يفضّل البلاغة الأدبيّة لكونها تقوم على الإمتاع خاصية أدب الطفل، قبل تحقيق الاجتماعي التربوي والنفسيّ، وتفضيل الناقد للبلاغة الفنيّة حتّمته مرتكزات قصص الأطفال القائمة على:

- ✓ وظيفة الإمتاع والتسلية في قصص الأطفال.
- ✓ مراعاة المستويات البنائية للقصّة لنمو الطفل الجسمي والنفسي والعقلي والاجتماعي والخلقي واللّغوي.
- ✓ التعامل مع قصص الطفل بناء على وعي مضمر.

هذه المرتكزات هي التي جعلت محمد مشبال يضع الناقد محمد أنقار في الخطّ الأوّل المعتدّ ببلاغة العمل الفنّي، المعتني بسمات البلاغة ومكوّناتها، وبعيدا عن الانطباعية والأحكام الذوقية غير المبرّرة، يضع الناقد خططا ومعايير يلتزمها أثناء قراءة قصص الأطفال، هي:

1 – معيار النّوع: النوع والجنس معيار تنظيميّ للقراءة، بالتزامه يتتبّع الناقد تحوّلات الجنس وتطوّراته، وفي نماذجه التحليلية حاول محمد أنقار التزام معيار البناء السردي والشروط التي تقتضيها الأنواع السّردية، متوصلا إلى جملة من الاستنتاجات نلخّصها في الآتي:

القصّة	الاستنتاجات
حيرة اسماعيل	الجنسان متباينان بين الشريط المصوّر والرّواية، ورغم أنّ صلاحية قصة
حسان بن النعمان	"حسان بن النعمان" للطفولة المتأخّرة، فإن الخطاب التاريخي لم يصل بالعناية المطلوبة إلى القارئ وشرط الجنس الروائي لم تبرز بالصورة المتوخاة. يأخذ الإخبار مكان السرد، والتاريخ مكان القصة، ويتم الرهان على الحقيقة التاريخية بدل البعد الخيا
عمتي جيدة	القصة من الحكاية العجائبية،
مغامرات ذكي	القصة من الحكاية الشعبية المرحة، رفضت الخضوع لجنس القصة وظلّت وفية لجنس الحكاية.. مراع لشروط البيئة.. تقوم على المصادفة التي تعني اضطرابا فنيا.
الأرنب السارق	من الخرافة المختلطة الشخصيات.
قصص بسمة	من الحكي الشاعري.
الصديق الوفي	أضرّت بالتركيب الفني لاهتمامها بالخطاب الأخلاقي، فالقيمة الخلقية في الفن ينبغي توصيلها ببناء مقنع حتى يحصل الإمتاع المطلوب.

الجدول رقم (1)

مجلة قراءات للدراسات والبحوث النقدية والأدبية واللغوية
مجلد: 11 ، عدد: 01، شهر: جوان ، سنة: 2023
ISSN: 1112- 8658
E-ISSN:2602-7259
عنوان المقال: التفكير البلاغي عند محمّد مشبال(من تصنيف الأقوال وتقنياتها الإقناعيّة إلى تأمّل الخطابات وتأويلها)
صفحة: من 78. إلى 92

2 – معيار التلقي: النصّ جملة من العلامات البنائية والدلالية التي تستدعي مشاركة القارئ الطفل بخاصّة، كما تجانب كسر أفق انتظار هذا القارئ الطفل، واعتماد الشاعرية في قصص الأطفال بتوظيف التجريد والرمزية الإيحاء والتصوير الحالم هو ما يقوف إدراك الأطفال، والعيب ليس في الشاعرية ولكنه في طريقة إنجاز النصوص القصصية.

بهذين المعيارين يؤدّي كاتب قصّة الطفل بلاغة القصّة، وهي «مجموع الأنواع الأدبية والإمكانات الأسلوبية التي وظفها للتأثير الفني في المتلقي؛ إنّها نمط من التوصيل الفنّي، ومظهر تنظيمي للتذوق والقراءة؛ أي إنها جهاز من الأدوات والمفاهيم والمقولات يتيح للقارئ فرصة تأمل النص وتشريحه، ولعل هذا المدلول الرّحب للبلاغة ألاّ يحصر إمكاناتها في المكونات البلاغية الصغرى التي حظيت بعناية البلاغيين الكلاسيكيين، بل يوسعها لتشمل مكونات لها صلة بهيكل النص وبنائه أو الأسلوب بمفهومه المرتبط بالجنس الأدبي (مستويات الشخصيات والسرد – الحبكة – الوصف – الحوار - الزمان – المكان – الحدث...)»(مشبال، 1999، صفحة 153).

بلاغة الأشكال الوجيزة:

يناول الدرس البلاغي الجديد الأشكال الوجيزة les formes brèves منطلقا من مبدأ جمالية الوفرة وجمالية الندرة، بالتركيز على بلاغة القلّة وهي جملة الأساليب التي «يسعى بها المتكلّم إلى قصده عن طريق الإيماء والإيحاء والإشارة، أي باستدعاء قدرة القارئ أو السّامع وسعة اطّلاعه لكي يستحضر هو نفسه كلّ تلك السياقات التي تشير إليها الإيماءات والإيحاءات»(باديس، 2008، صفحة 8)، وكعادته ينفتح محمد مشبال على المرجع النّقدي اللّساني الغربي لمقاربة حقل الشكل الوجيز الذي ما زال جديدا لم توفيه الدراسات حقّه، فالأشكال الوجيزة على اختلاف أجناسها وتهدّد مداخلها تشترك في استدعائها تقنيات أنتجتها الإنسانية، من مثل «الاستعارة والالتفات والتورية والسخرية والمحاكاة الساخرة والغروتاسكي والتهجين وغيرها من فنون البلاغة وطرائق إنتاج الدلالة، كما تركن الأشكال الوجيزة إلى الإيجاز والاختصار، وتحبّذ التكثيف وتستعيض عن التصريح بالرّمزيّ والاستعاريّ»(البوجديدي، 2020، صفحة 10).

مبدأ الأشكال الوجيزة:

يحكم الأشكال الوجيزة الإيجاز، وبذا تكون بلاغتها مخصوصة تتجاوز الطابع الكمّي لتركّز على المقام في القول والخطاب، فيصبح كلّ خطاب مقبولا على اعتبار سياقه وليس كميته، وتصير البلاغة شكلا غير متعالٍ ولا مطلقٍ، تنزع إلى تأصيل بلاغة الخطابات على اختلاف أنواعها وأشكالها، تبحث إن

مجلة قراءات للدراسات والبحوث النقدية والأدبية واللغوية
مجلد: 11 ، عدد: 01، شهر: جوان ، سنة: 2023
ISSN: 1112- 8658
E-ISSN:2602-7259
عنوان المقال: التفكير البلاغي عند محمّد مشبال(من تصنيف الأقوال وتقنياتها الإقناعيّة إلى تأمّل الخطابات وتأويلها)
صفحة: من 78. إلى 92

استراتيجيات هذه الخطابات والأشكال وخصائصها وتقنياتها المهيمنة، كتقنية الإيجاز في الأشكال الوجيزة التي يعدّ فيها سمة بلاغية كليّة ضابطة.

وحين تبحث البلاغة الجديدة في الأشكال الوجيزة فإنّها تبحث عن استراتيجيات القول الوجيز وبلاغته، في مختلف الأشكال التي يحضر فيها الشكل الوجيز من نوادر ومقامات ومقابسات وقصص قرآني وألغاز وأحاج ونكتٍ، وحكايات وأمثال سائرة وحكم وغيرها.

إنّ الأشكال الوجيزة تتجاوز الخطابات المكتوبة والشفاهية إلى خطابات غير لفظية، إذ نجدها إضافة إلى ما سبق في القصص على اختلاف أشكاله، وفي قصائد الهايكو على وتيرة قصيدة الهايكو اليابانية، كما نجده في الكاريكاتور والأفلام القصيرة والمسرحيات القصيرة، والسكاتش، وكذا في الفنون التشكيلية كالنّحت والرّسم وفنون النسخ واللّصق، والصورة الإشهارية، وانتشارها في شبكات التواصل الاجتماعي، باستعمال الأيقونات والصور والوسائط في التعبير والتأثير.

محافظة من محمد مشبال على منهجيته في البحث يقدّم جملة من الأسئلة لتحديد المفاهيم والمقولات فيسأل عن ماهية الأشكال الوجيزة في اللغة والأدب، وعن مدى حضورها في الخطابات غير الأدبية وفي الفنون، وما وجه المفارقة بينها وبين الأشكال البسيطة formes simples، وعن علاقتها ببلاغة الخطاب، وما آليات وطرائق إنتاجها؟

بلاغة الرّسائل:

يطرق محمد مشبال خطاب الرّسائل بمقاربة رسائل الجاحظ في مدوّنته الموسومة "خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ"، مقاربة بلاغية حجاجية، وقبل تناول خطاب الرسائل يذكر ملابسات اتّصاله العلمي بأدب الجاحظ، فكان كتابه الموسوم "سمة التضمين التهكّمي في رسالة التربيع والتدوير" بغرض الخروج بالمقاربة البلاغية من دائرة الشعر إلى دائرة النثر، عبر مساءلةٍ تبحث عن كيفية مقاربة نصّ نثريّ عربيّ قديم بالامتثال إلى طبيعته والاستجابة لأسئلته الخاصّة؟ أو كيف نهتدي إلى ما يمكن وصفه ببلاغة نوعية مستمدّة من ماهية النثر؟

أمّا الاتصال الثاني فكان بمقاربة أخرى موسومة "بلاغة النادرة" بالبحث عن بلاغة تحاور هي الأخرى نصّا سرديا تراثيا هو نوادر الجاحظ الذي نظّر بنفسه لبلاغة هذا الجنس، وفي هذه المقاربة خرج مشبال عن قواعد الدراسة البلاغية المعهودة إلى دراسة بلاغية أرحب خارج حدود "وجوه الأسلوب" معتمدا المزج بين البلاغة والنقد الأدبيّ، فكانت «بلاغة النادرة تعني كلّ السمات الجمالية النّوعية التي يمكن أن يوظّفها هذا النّوع من الخطابات في تحقيق تأثيره»(مشبال، 2015، صفحة 6)، وثالث اتّصال كان بدراسته الموسومة "البلاغة والسرد، جدل التخييل والحجاج في أخبار الجاحظ"، هذا العمل الذي

مجلة قراءات للدراسات والبحوث النقدية والأدبية واللغوية
مجلد: 11 ، عدد: 01، شهر: جوان ، سنة: 2023
عنوان المقال: التفكير البلاغي عند محمّد مشبال(من تصنيف الأقوال وتقنياتها الإقناعيّة إلى تأمّل الخطابات وتأويلها)
صفحة: من 78. إلى 92
ISSN: 1112- 8658
E-ISSN:2602-7259

وسّع فيه الناقد تصوّره للبلاغة بانفتاحه على البعد التداولي الحجاجيّ إلى جانب البعد الجمالي المعمول به سابقا، وظلّ الاهتمام نفسه قائما لدى محمد مشبال، وهو البحث عن بلاغة مخصوصة.

فما سبيل مقاربة الناقد لرسائل الجاحظ التي تفضي بالمحلّل البلاغي إلى طريق مسدود؟

يقين نجاعة التحليل البلاغي لرسائل الجاحظ نابع من إدراك الناقد للمفارقة بين النظرية البلاغية بقوانينها وبأسلوبيتها وخطاطاتها الحجاجية وبين المقاربة البلاغة بوصفها قراءة مقاربة للخطابات والنصوص على اختلاف أنواعها، وعلى الباحث وعي مساحة الاجتهاد والإبداع في تركيب ما يسعفه لتحليل بلاغيّ متوافق مع أهداف التحليل واستراتيجياته.

هذه القناعة دفعت محمد مشبال إلى استثمار المبادئ النظرية البلاغية ومطالب النصوص، اهتماما بالتقنيات والمواضع الحجاجية، وصور الأسلوب وأشكاله، والسياقات الكلية الداخلية للنصوص، والسياقات التي تربط النصوص بنصوص من جنسها عبر ما يسمّيه ميخائيل باختين بالحوارية وجوليا كريستيفاJulia Kristeva بتداخل النصوص وأنواع الخطاب بحيث يصبح التخليل البلاغيّ وصفا للنصّ في كلّيته، إضافة إلى المزاوجة بين النظرية البلاغة ومطلب النصّ يزاوج الناقد بين المنظور البلاغي الحجاجي في التحليل وبين المقاربات الأخرى التي تساهم في إبراز مقوّمات النصوص.

فما هي المرتكزات التي تساعد في الكشف وتحديد طبيعة الخطاب؟

تبدو الطبيعة البلاغية لرسال الجاحظ من خلال الآتي:

1 – الانشغال بالمتلقي.

2 – التواصل مع المتلقي والتأثير فيه بواسطة الحجج المضمرة والصريحة.

3 – الارتباط بالمواقف التواصلية المحدّدة.

4 – حوارية الرسائل بمحاورة خطابات أخرى معلنة أو مضمرة.

5 – عدم امتلاك الرسائل لقواعد متفق عليها.

وقد ولّدت هذه المرتكزات جملة من المبادئ تسعف في إنتاج مقاربة بلاغية تقارب رسائل الجاحظ، ومن هذه المبادئ:

1 – تحليل الحجج التي تتضمّنها الرسائل، الموجّهة للتأثير في المتلقي وإقناعه، سواء كانت هذه الحجج من اللوجوس أو من الإيتوس أو من الباتوس.

2 – دراسة مظاهر حوارية النصوص والخطابات المتناقضة.

3 – وصف أنواع الخطابات والنصوص، ولهذا تكون المقاربة بلاغية نوعية.

4 – التحليل التناصي وإبراز وظائفه البلاغية.

5 – تحليل الوجوه الأسلوبية المؤثّرة في المتلقين.

مجلة قراءات للدراسات والبحوث النقدية والأدبية واللغوية
مجلد: 11 ، عدد: 01، شهر: جوان ، سنة: 2023
ISSN: 1112- 8658
E-ISSN:2602-7259
عنوان المقال: التفكير البلاغي عند محمّد مشبال(من تصنيف الأقوال وتقنياتها الإقناعيّة إلى تأمّل الخطابات وتأويلها)
صفحة: من 78. إلى 92

البلاغة والرواية:

يستمرّ التفكير البلاغي نفسه لدى محمد مشبال فيقارب جنسا آخر هو الجنس المتعذّر على كلّ تعريف، جنس الرّواية، فيصف العصر بعصر بلاغة الرواية بدلا من عصر الرواية، منطلقا من نقد النظرة التجديدية لأسلوبية الرواية التي يقول بها حميد لحمداني في كتابه "أسلوبية الرواية مدخل نظري" فيتحدّث عن الحاجة إلى قيام أسلوبية جديدة لدراسة الفنّ الروائي، ويتساءل: «ما هي حدود فعالية التحليل الأسلوبي، اللّغويّ والبلاغيّ، بالنسبة للرواية؟ »(لحمداني، 1989، صفحة 9)، ونظرا لالتباس البلاغة في الخطاب الرّوائي يستهلّ الناقد مقاربته بتحديد مفهوم البلاغة الذي لا يخرج عن نظرتين متباينتين هما:

1 - البلاغة بوصفها تحسينا، هدفها تحقيق المتعة وبذا تكون مساوية للأسلوبية، غايتها تأدية وظيفتها الجمالية.

2 - الموضع والتقنيات الحجاجية التي تحكم الخطاب الإقناعي، ومن هنا يشكّل الوجوه الأسلوبية في الرواية جزء من الإيجاد، لا توجد خارج دائرة الحجاج، وعليه فعندما نتحدّث عن بلاغة الرّواية فنحن نعني ما تشير إليه من وما تتضمّنه من مظاهر حجاجية.

وبعد الحديث عن الطابع المتناقض بين البلاغة والرواية، يراهن الناقد على بلاغة الخطاب الروائي من خلال سؤال مؤسِّسٍ هو: ما الذي يمكن أن قدّمه البلاغة لجنس أدبيّ أحدثت نصوصه ثورة أسلوبية تعجز أدواتها العتيقة عن وصف طبيعتها وضبط إمكاناتها؟(مشبال، 2019، صفحة 15).

بعد الاطلاع على إنجازات النّقد الرّواي المعاصر، وما تصلت إليه النظرية الأدبية والدراسات السّردية، أدرك الناقد عجز البلاغة الفادح عن مقاربة الخطاب الروائي واقتحام دائرة السّرديات، فما المانع من أن تطرق البلاغة ميدان غير مخوّل لها الولوج إليه؟ أو ما المانع من أن تستوعب البلاغة مظاهر وسمات جماليات الرّواية؟ وما المانع من طرق البلاغة جنس الرواية؟

يمكن للبلاغة أن تستوعب الإمكانات الخطابية السّردية، كما يمكن اقتراح منظر بلاغي جديد لمقاربة الروايات، بمقاربة بنياتها اللّغوية والأسلوبية والسّردية والحجاجية والحوارية، فالبلاغة علم منفتح على مختلف أنواع الخطاب، وعلى الحقول المجاورة لها، تتجاوز الجزئي النقطي، وتتبنّى ما يأتي:

- مبدأ الجنس والنوّع.
- مبدأ كلية السيّاق النصّي.
- مبدأ الحوار مع النصوص والخطابات.

مجلة قراءات للدراسات والبحوث النقدية والأدبية واللغوية
مجلد: 11 ، عدد: 01، شهر: جوان ، سنة: 2023
ISSN: 1112- 8658
E-ISSN:2602-7259
عنوان المقال: التفكير البلاغي عند محمّد مشبال(من تصنيف الأقوال وتقنياتها الإقناعيّة إلى تأمّل الخطابات وتأويلها)
صفحة: من 78. إلى 92

ويعود محمد مشبال مرّة أخرى ليؤسّس لأفكاره البلاغية بتناول مفاهيم ميخائيل باختين وجيرار جنيت ورولان بارت ورومان ياكبسون، وتزيفتانتودوروف وستيفن أولمان، وجملة هذا المفاهيم بمكن تلخيصها في الجدول رقم (2):

ميخائيل باختين	بنى تصوّره على الحوارية والبوليفونية.
رولان بارت	التمييز بين الوحدة اللسانية والوحدة السّردية.
جيرار جنيت	البلاغة سيميائية أنواع الخطاب.
رومان ياكبسون	تطبيق بنية الكناية على السّرد الرّوائي الواقعي.
تزيفتانتودوروف	طبّق بنيات بعض الصور الأسلوبية على بنية السّرد.
ستيفن أولمان	تحليل نماذج من الصور البلاغية في نماذج روائية فرنسية.

الجدول رقم (2) المفاهيم البلاغية لدى منظري الرّواية الغربيين

خاتمة:

تندرج البلاغة الجديدة في سياق مختلف ينفتح على مختلف الحقول العلمية والنظريات الأدبية كالشعرية والسيميوطيقا بحثا عن بديلا للأسلوبية، باعتماد الأدب والأدبية موضعا لمقاربات البلاغية الحجاجية، وإن كانت تجربة أمين الخولي محاولة لتجديد البلاغة العربية، وترسيخ البلاغة الجمالية النقدية تقارب النصّ الأدبي في كلّيته، فإنّ هذه المقاربة أبعدت الحجاج وأقصته من حقل النظرية البلاغية، كما أنّ تجارب كلّ من مصطفى ناصف وجابر عصفور ولطفي عبد البديع وحسن عبد الله، في إعادة قراءة البلاغة التراثية كانت قراءات مبعِدة للحجاج، أمّا عن مقاربة محمد مشبال، فهي مقاربة تسعى لتوسيع المقاربة البلاغية لتطرق أبواب كلّ الأجناس على اختلاف أشكالها، بالانفتاح على مختلف أشكال المعرفة، بالتركيز على خطّ البلاغة الأدبية الفنية المهتمة بالمخاطب والمتلقي على السواء.

المراجع:

1. G.Genette. (1972). la rhétorique restreinte. Dans G.Genette, Figures 3. Paris: seuil.
2. H.Morier. (1989). dictionnaire de poétique et de rhétorique (éd. 4). france, paris: p.u.f.
3. Ricœur, P. (1975). la métaphore vive. paris: seuil.

مجلة قراءات للدراسات والبحوث النقدية والأدبية واللغوية
مجلد: 11 ، عدد: 01، شهر: جوان ، سنة: 2023
ISSN: 1112- 8658
E-ISSN:2602-7259
عنوان المقال: التفكير البلاغي عند محمّد مشبال(من تصنيف الأقوال وتقنياتها الإقناعيّة إلى تأمّل الخطابات وتأويلها)
صفحة: من 78. إلى 92

1. أمين الخولي. (1996). فنّ القول. القاهرة: دار الكتب المصرية.
2. د. جابر عصفور. (1995). مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي (الإصدار 5). مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
3. د. حميد لحمداني. (1989). أسلوبية الرواية مدخل نظري (الإصدار 1). الدار البيضاء: منشورات دراسات سال.
4. د. عماد عبد اللطيف. (2017). ماذا تقدّم بلاغة الجمهور للدراسات العربية؟ تأليف د. عماد عبد اللطيف، بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات (الإصدار 1). العراق: دار شهرزاد.
5. د. محمد العمري. (2012). البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول (الإصدار 2). الدار البيضاء، المغرب: أفريقيا الشرق.
6. د. محمد اليملاحي. (2014). أسئلة الفكر البلاغي في المغرب. تأليف د. محمد مشبال، البلاغة والخطاب (الإصدار 1). الرّباط: دار الأمان.
7. د. محمد مشبال. (2002). أسرار النقد الأدبي، مقالات في النقد والتواصل (الإصدار 1). تطوان، المغرب: مطبعة الخليج العربي.
8. د. محمد مشبال. (2002). أسرار النّقد الأدبي، مقالات في النقد والتواصل (الإصدار 1). تطوان: مطبعة الخليج العربي.
9. د. محمد مشبال. (2015). خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ، مقاربة بلاغية حجاجية (الإصدار 1). عمان، الأردن: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
10. د. محمد مشبال. (2021). محاضرات في البلاغة الجديدة (الإصدار 1). بيروت، لبنان: دار الرافدين.
11. عبد الواحد المرابط وآخرون. (2017). من البلاغة المختزلة إلى البلاغة الرحبة قراءة في أعمال البلاغي الدكتور محمد مشبال. أربد، الأردن: عالم الكتاب الحديث.
12. محمد أنقار. (1988). قصص الأطفال (الإصدار 1). تطوان، المغرب: طلية الآداب والعلوم الإنسانية.
13. نور الهدى باديس. (2008). بلاغة الوفرة وبلاغة الندرة، مبحث في الإيجاز والإطناب (الإصدار 1). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.